التَّوبة

عن الأغرّ بن يسار المُزَنيّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1]: **«يا أيها الناسُ، توبوا إلى اللهِ واستغفروه فإني أتوبُ في اليوم مئةَ مرةٍ»**.

اللغة:

الاستغفار: طلب المغفرة من الله ﷻ.

ما يُفهم من الوصيَّة:

أختي المسلمة: هذه الوصية طيبة مباركة من الرسول ﷺ يخاطب بها الناس جميعاً، ويطلب منهم أن يتوبوا إلى الله ﷻ، ويستغفروه من جميع ذنوبهم.

ويقول ﷺ مشجعاً على كثرة الاستغفار: **«فإني أتوب في اليوم مئة مرة»** وهو ﷺ الذي غُفر له جميع ذنبه ما تقدم منه وما تأخر.

وحديثه ﷺ هذا مأخوذ من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]. وقال ﷻ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: 3].

المعصية:

تُقسم المعصية بشكل عام إلى قسمين:

---

(1) أخرجه مسلم (الحديث: 2702)، وأبو داود (الحديث: 1515).

الأول: المعصية التي تكون بين العبد وبين خالقه.

الثاني: المعصية التي تتعلق بحق آدمي.

شروط التوبة:

أولاً: إذا كانت المعصية بين العبد وربه، فلها ثلاثة شروط:

1 ـ أن يُقْلع عن المعصية.

2 ـ أن يندم على فعلها.

3 ـ أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

وإذا فُقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تُقبل شهادته.

ثانياً: إذا كانت المعصية تتعلق بآدمي، فلها أربعة شروط:

1 ـ الشروط الثلاثة المذكورة سابقاً.

2 ـ أن يبرأ من حق صاحبها، كأن يعيد إليه ماله، أو يطلب عفوه، ويستحله من غيبة.

والتوبة واجبة على كل مسلمٍ ومسلمة لكثرة الذنوب والمعاصي والآثام.

الله يفرح بتوبة عبده!

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «**لله أشدُّ**

(1) أخرجه مسلم (الحديث: 2747).
الخطام: الحبل، **أيس**: يئس. **الراحلة**: الناقلة عليها الرحل.

فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه، وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» .

زمان قبول التوبة:

تُقبل التوبة في كل وقتٍ وحين إلا في الوقتين الآتيين:

أ ـ عند الغَرغرة (عندما تصل الروح الحلقوم).

ب ـ عندما تطلع الشمس من مغربها وهذه في آخر الزمان.

فهيّا **أيتها المسلمة** سارعي إلى التوبة، فتوبي إلى الله ﷻ من جميع الخطايا والذنوب، واستغفريه، بل وأكثري من الاستغفار؛ لأن ذلك سبب في كثرة الرزق والفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى، وغير ذلك من الأمور التي ينالها العبد بتوبته واستغفاره.

فالتوبة التوبة **أيتها الأخت المسلمة**، وتذكّري قول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فالتائبة تدخل في محبة الله تعالى؛ لأنها خالفت الشيطان وأطاعت ربها فنالت بذلك محبة الله ﷻ.

فإذا عزمت فتوكّل على الله

عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[1]: **«لو أنكم**

(1) أخرجه الترمذي (الحديث: 2345)، وابن ماجه (الحديث: 4164).

تتوكلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بِطاناً».

اللغة:

تغدو: تذهب أول النهار. **خماصاً**: ضامرة البطون من الجوع. تروح. **بطاناً**: ترجع آخر النهار ممتلئة البطون.

ما يُفهم من الوصيَّة:

من هذا الحديث النبوي الشريف نرى كيف يؤكّد النبيّ ﷺ على حقيقة **«التوكل»**.

وقد وردت آيات كثيرة تحث الإنسان المسلم على أن يتوكل على الله في شؤونه كلها، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: 11]. وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

وفي الوصية التي يشير فيها خاتم النبيين ﷺ إلى أننا **لا نتوكّل على الله حق التوكل!**

فلو أنا نتوكل على الله حق التوكل لرزقنا كما يرزق الطير تذهب في الصباح جائعة، وتعود في المساء ممتلئة بطونها، فالتوكل يتطلب إيماناً راسخاً ثابتاً من الإنسان حتى يتيقن ويتوكل على الله حق التوكّل.

من صور التوكّل على الله:

1 ـ قال رسول الله ﷺ[1]: «**يا فلان، إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجّهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإنك إن متّ من ليلتك متّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبْتَ خيراً**».

يتضمن هذا الحديث النبوي صوراً عديدة من صور التوكل على الله:

1 ـ تسليم الأمر لله تعالى عند النوم وفي غيره.

2 ـ التوجه إلى الله ﷻ في الأمور كلها.

3 ـ تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

4 ـ الإيمان بكتاب الله (القرآن الكريم) والعمل بمقتضى أحكام القرآن العظيم واجتناب نواهيه.

5 ـ الإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ نبياً ورسولاً، ورحمة مهداة للعالمين.

2 ـ عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «**من قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ : **بسم الله، توكّلت على الله، ولا حول**

(1) أخرجه مسلم (الحديث: 2710).
(2) أخرجه أبو داود (الحديث: 5095)، والترمذي (الحديث: 3422).

ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت، وكُفيت، ووقيت، وتنحّى عنه الشيطان».

وهذه صورة أخرى من صور التوكل على الله ﷻ حق توكله، أن يقول المسلم حين يخرج من بيته: بسم الله توكّلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فتكون النتيجة:

1 ـ الهداية.

2 ـ الكفاية.

3 ـ الوقاية.

4 ـ يتنحّى عنه الشيطان.

فتأمّلي **أختي المسلمة** عظيم كرم المولى ﷻ، وكثرة عطائه لعبده المؤمن.

فتوكّلي على الله حقّ توكّله: بالتفويض، تفويض الأمر له، الاعتماد على الله، التوكل على الله، فتكون النتيجة الأمور الأربعة التي ذكرناها قبل قليل. وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون.

حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1]: **«ثلاثٌ**

(1) متفق عليه.

من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان:

1 ـ من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما.

2 ـ ومن أحب عبداً لا يحبّه إلا لله.

3 ـ ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار».

اللغة:

ثلاثٌ: المقصود: ثلاث صفاتٍ. **وجد**: حصَّل. **حلاوة الإيمان**: انشراح الصدر له وارتياح القلب له.

ما يُفهم من الوصيَّة:

هذا البيان النبوي **أختي المسلمة**، فيه توضيح لثمرة الإيمان الثابت المستقر بين جوانح الإنسان المسلم. ويبيّن لنا هذا الحديث النبوي كيفية الحصول على حلاوة الإيمان؟

وفي هذا الحديث الشريف حض وتوصية على التحلي بهذه الصفات الثلاث المذكورة في الحديث. وهذا الحديث يثير العاطفة الإنسانية، ذلك بأن يقول: للإيمان مراتب موجودة في النفس، فإذا ما نشطت هذه المراتب جعلت من الإنسان إنساناً كاملاً يذوق طعم العبادة.

وهذا الذي يجده الإنسان الذي يذوق حلاوة الإيمان هو أمر روحي صِرْف، وجمال هذه الوصية من البيان النبوي الشريف هو

جَعْل الإيمان (وهو أمر معنوي) يشبه شيئاً مادياً يتذوقه الإنسان وهذا الشيء حلو المذاق عذب!

فتأملي **أختي المسلمة** روعة البيان النبوي في التعبير الموجز البليغ الذي يصوّر الحقائق الإيمانية الذوقية بأشياء نتذوقها ونعرفها؟

والآن **أختي المسلمة** هيا بنا نتذوق البيان النبوي ونشرح الخصال الثلاث خصلة، خصلة، بإذن الله.

١ ــ من كان الله ورسولُه احبَّ إليه مما سواهما:

أختي المسلمة: الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ غاية في الكمال، وقوله ﷺ: «**مما سواهما**» يشمل كل شيء حتى نفسك التي بين جنبيك.

والعاقل يتفكّر بفضل الله على الناس والمخلوقات جميعاً. ويتفكّر بفضل خاتم الأنبياء ﷺ على المسلمين جميعاً وعلى العالمين.

ذلك أن فضل خصاله وكمالاته ﷺ لا يدانيها مخلوق.

وإذا سألت **أيتها الأخت المسلمة** ما هو المعيار والميزان ليُعرف به أن الله ورسوله أحب إلى هذا الإنسان مما سواهما؟

فالجواب: الميزان هو عمل الإنسان نفسه، فإذا فضّل الله ﷻ ورسوله ﷺ بأن التزم حدود الله، وعمل بما أنزل الله وقدم طاعة الله ورسوله على كل شيء، وكل شيء يحبه، عندها يكون قد تخلّق بهذا الشرط ليكون أهلاً لأن يذوق حلاوة الإيمان!

٢ ــ ومن أحبّ عبداً لا يحبُّه إلا لله:

الحب لله وفي الله من علامات الإيمان، ذلك لأن الرابطة الروحية أقوى من الروابط المادية.

ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله تعالى يكون قد تخلّق بصفة أو خصلة إيمانية رفيعة!

والحق **أختي المسلمة** أن هذه الخصلة اختصرت كل الفضائل الخلقية والاجتماعية، ذلك لأنها قامت على أساس روحي قوي. فالذي يحب الآخر لله يدفعه حبه له إلى الإخلاص له، وتقديره، وعدم خيانته، أو غشه أو خداعه..

وهذه الخصلة تشيع في الأمة روح الإخاء والتعاون، والمسامحة.

٣ ــ ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يُلقى في النار:

في هذه الخصلة أو هذه الصفة التي ذكرها النبي ﷺ، شرطاً ثالثاً وأخيراً لمن يريد أن **«يذوق»** حلاوة الإيمان تصوير وجلاء للموقف موقف المسلم من العقائد الأخرى. وهذا الموقف هو حد فاصل بين النجاة والهلاك.

أختي المسلمة:

ترشدنا هذه الوصية النبوية الطيبة إلى أمور مهمة في حياة الإنسان المسلم، منها:

1 ـ الإيمان شيء روحي حلو.

2 ـ إشارة إلى فضل من تحلى بهذه الصفات الثلاث.

3 ـ بلوغ الكمال يحتاج إلى تدريب وطول مراس.

شروط استكمال الإيمان

عن أبي أمامة الباهليّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال[1]: «**من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**».

اللغة:

أبغض: كره. **استكمل**: كمّل.

ما يُفهم من الوصيَّة:

أختي المسلمة:

تبين لنا هذه الوصية النبوية طبيعة الإيمان في قلب الإنسان المسلم (المؤمن).

فالإيمان بالله، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، ليس مجرد أفكار خيالية، بل هي حقيقة تنير الطريق، وتوجّه السلوك.

فالإنسان المؤمن يسير وَفْق منهج واضح، مستقيم:

1 ـ يحب لله.. لا لأحدٍ سواه.

(1) أخرجه أبو داود في السنة، باب: زيادة الإيمان ونقصانه (الحديث: 4/ 220).

2 ـ يكره لله.

3 ـ يعطي ويمنع لله.

فالذي تتحقق فيه هذه الشروط يـتكمل إيمانه، أي: يكمله.

وهذه الشروط الثلاث تؤثر تأثيراً واضحاً في الشخصية الإسلامية الأخلاقية والاجتماعية.

وهذه الشروط تجعل الإنسان حراً، عبداً لله وحده فلا يتأثر بالعوامل المادية ولا الشخصية، إنما يتأثر بالعامل الإيماني.

أختي المسلمة:

هذه الوصية التي تصوغ من المسلم إنساناً حراً، يرفض العبودية لغير الله، ترشدنا إلى أمور مهمة، منها:

1 ـ أهمية الإخلاص لله وحده.

2 ـ وضح هذا الحديث أو هذه الوصية شروط استكمال الإيمان، وبيّنها.

3 ـ مدار الإسلام على أربع قواعد:

ـ قاعدتان باطنتان: الحب، والبغض.

ـ وقاعدتان ظاهرتان: الفعل، والترك.

4 ـ علامة المحبة الصادقة خلوصها من الشوائب.

أيُّ الذنبِ أعظم عند الله؟

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظمُ عند الله؟ قال[1]: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قال: قلت: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: «**أنْ تقتلَ ولدك تخافُ أن يطعم معك**»، قلت: ثم أيُّ؟ قال: «**أنْ تزاني حليلةَ جارك**».

اللغة:

نداً: نظيراً. والمقصود: الشرك بالله. **تُزاني**: تزني، أو تحاول الزنا كما قال القرطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

حليلة: زوجة.

ما يُفهم من الوصيَّة:

أختي المسلمة: هذا الحديث الشريف فيه جواب مفيد عن سؤال ابن مسعودٍ ﷺ: أيّ الذنوب أعظِم عند الله؟

وهذا السؤال يلمح إلى مدى خشية الصحابة رضوان الله تعالى عنهم من الذنب.. فسيدنا عبد الله بن مسعود عندما سأل النبيَّ ﷺ هذا السؤال الذي كان يؤرقه ويشكّل هاجساً عنده. ما هو أعظم ذنبٍ عند الله؟ فجاء البيان النبويّ المشرق يجيب بوضوح وتفصيل عن أعظم الذنوب عند الله تعالى، وهذه الذنوب مفصَّلة:

---

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري في تفسير سورة «البقرة»، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الشرك أعظم الذنوب.

١ ــ أن تجعل لله نداً وهو خلقك:

هذا هو الذنب الأول؛ بل هو أعظم الذنوب على الإطلاق ألا وهو الإشراك بالله ﷻ (والعياذ بالله). وقوله ﷺ: «**وهو خلقك**» فيه تأكيد على فظاعة هذا الذنب الذي يقترفه العبد، وفيه ملمح آخر وإشارة إلى قبح ذلك الذي يشرك بالله، ذلك بأنه يعرف أن الله خلقه ومع ذلك يشرك به.

وقد أوصى لقمان ابنه وهو يعظه، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ فالشرك **أختي المسلمة** ظلم عظيم. فإياكِ إياكِ أنْ تشركي بالله شيئاً.

٢ ــ أنْ تقتل ولدك تخاف أن يطعمَ معك:

أختي المسلمة: في هذا الذنب، وهو من أعظم الذنوب عند الله ﷻ إشارة إلى «الوأد» الذي كان موجوداً في العصر الجاهلي، وهذا الجرم الكبير الوأد فيه اعتداء على حق الحياة في زمن الظلم والجاهلية والظلام.

ولما أشرقت شمس الإسلام حرّم الله هذه الجريمة وجعلها من أعظم الذنوب؛ بل الذنب الذي يأتي بعد الذنب الأكبر: الإشراك بالله.

٣ ــ أنْ تُزاني حليلة جارك:

جريمة الزنا من أعظم الجرائم، وأعظم الذنوب عند الله تعالى؛ لأنها فاحشة تنطوي على فواحش متعددة، فالزنا طريق

سوء، وله آفات صحية، واجتماعية خطيرة.

وفي الزنا إيذاء حق الجار، وحق الجار ورعايته من ثمرات الإيمان كما قال رسول الله ﷺ[1]: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**».

وقد عبَّر الرسول ﷺ عن الذي يزني بحليلة جاره بأدق تعبير حيث قال: «**تزاني**» أي: تحاول الزنا فمحاولة الزنا من أعظم الذنوب عند الله تعالى، فكيف بالزنا؟

وترشدنا هذه الوصية إلى أمورٍ مهمة في حياة الإنسان المسلم:

1 ـ اهتمام الصحابة رضوان الله عنهم بالأمور التي فيها نجاتهم عن عذاب الله وخشيتهم من الذنوب.

2 ـ الذنوب منها ما هو صغير كاللمم، ومنها ما هو كبير وعظيم كالكبائر والزنى.

3 ـ الشرك أعظم الذنوب، وهو الذنب الذي لا يغفره الحق سبحانه وتعالى.

4 ـ الإسلام وضّح حق الحياة حيث حرم «الوأد».

5 ـ التأكيد على حرمة الجار وحقه، وخصوصاً حرمة نساء الجيران.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الوصاة بالنساء.